

دور المؤسسات فى اكساب وتنمية القيم الأخلاقية للطفل

أولاً: الأسرة
ثانياً: المدرسة
ثالثاً: جماعة الرفاق
رابعاً: وسائل الإعلام

يتناول هذا الفصل دور المؤسسات التي تسهم في اكساب الأطفال القيم الأخلاقية المختلفة، كما تلعب دوراً في تنميتها مثل (الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق، وسائل الإعلام) وأن لكل منها دور تقوم به يختلف عن دور المؤسسات الأخرى في إكسابها الأفراد هذه القيم، ولكنها أدوار مكملة لبعضها البعض وتمثل هذه المؤسسات فيما يلي:-

أولاً: الأسرة:-

تلعب الأسرة دوراً هاماً في بناء شخصية الطفل السوية، حيث أنها من أهم المحاضن التربوية وأقواها أثراً في بناء شخصيته، فهي الوعاء الإجتماعى الذى يتلقى الطفل ويتفاعل معها ويشعر بالإنتماء لها ويتعلم منها كيف يتعامل مع الآخرين، ويستقى عاداته وأخلاقه وطبائعه. ولذا يجب على الوالدين أن يربوا أولادهم تربية أخلاقية صحيحة.

وقال رسول الله ﷺ: "ما من مولود إلا ويولد إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" وذلك لكون الطفل يعتمد على والديه اعتماداً كلياً في مرحلة الطفولة، فهو يتعلم من والديه المعرفة المتعلقة بأنماط السلوك والعادات والقيم، وإن الأسرة هي التي تغرس في الطفل القيم الأخلاقية، في الأسرة تكمن مسئولية الوالدين في رعاية الطفل وتكوين العادات السليمة والاهتمام بصحته الجسمية والنفسية والاهتمام بالناحية الانفعالية، وقد كان يوصى ﷺ بإظهار العطف والحنان للأطفال، وقد كان يعامل الحسن والحسين رضوان الله عليها بمتهى الرفق والحنان، وقد أطال السجود ذات مرة لأن الحسن رضى الله عنه كان متعلقاً بكتفه

فلم يجب أن يفزع، ويقع على الأسرة مسؤولية إشباع حاجات الأطفال حتى يكونوا شخصية سوية.

وتتعاظم أهمية الأسرة بالنسبة للطفل في أنها تستطيع أن تعزز في نفوس أطفالها الكثير من مشاعر وأخلاق الوالدين ومفاهيمهم الدينية خاصة، وأن الطفل في هذه المرحلة العمرية يستطيع أن يلتقط الصور المختلفة من أفعال والديه وأقوالهما. كما تعتبر مشاهداته ومسموعاته في محيط الأسرة منهاجاً له في حياته المقبلة. وبالتالي فإن أثر الآباء على الأبناء غالباً ما يكون كبيراً، وقد يكون لعناصر البيئة الأخرى المحيطة بالأبناء أثرها كذلك، ولكن هذا الأثر لا يعادل في قوته ما للوالدين من تأثير على الأبناء. ويزيد من أهمية الأسرة وأثرها المباشر في اكتساب الطفل للمفاهيم الدينية والأخلاقية ما يؤكد العلماء من أن الطفل يصعب اكتسابه لتلك المفاهيم عن طريق الاستدلال المنطقي وإنما يتمثلها ويشعر بها عن طريق الإرشاد والتوجيه من الوالدين والأسرة حيث يكتسب كثيراً من مشاعر وخبرات والديه الدينية والأخلاقية بجانب ما يكتسبه نتيجة للمقررات الدينية بالسنوات الدراسية المختلفة.

فالأُسرة هي الخلية الأولى التي يفتح الطفل عينيه عليها، وتأثيرها عليه يلعب دوراً كبيراً في توجيهه وتكوينه، وبالقدر الذي تقدمه الأسرة للطفل من مميزات تربية بقدر ما يتكون وينمو ويواجه المجتمع. فالأب والأم معاً حجر الزاوية الذي عليه يمكن أن نشيد صرح التربية الأسرية بالمنهج الصحيح بمعنى أن الطفل من صنع والديه ونبت تربيتها.

تلعب الأسرة دوراً هاماً في تنشئة الأطفال تنشئة أخلاقية صحيحة وفي تنمية ذكائهم حيث أن الطفل يظل داخل الأسرة خلال سنوات طفولته الأولى حتى تفتح مشاعره، وحتى تنمو ملكاته وسط الأسرة ويستمر دور الأسرة بعد ذلك في تنمية شخصية الطفل وتزويده بالخبرات والمهارات الحياتية التي سوف يستفيد بها في نواحي عديدة من حياته.

وأن المناخ الأسرى بيئة تساعد في تنمية الأبناء، فالأطفال يتعلمون التفاعل الاجتماعي وتكوين الضمير بالتمييز بين الخير والشر والصواب والخطأ ومعايير الأخلاق والقيم المرغوبة، وكذلك ينبغى على الأسرة العناية بالطفل وتوجيه العناية له وتزويده بالعادات السليمة وحمايته من الأمراض ومن الأخطار، وكذلك تزود الأسرة أطفالها بمبادئ الدين وتكسيهم مجموعة من الأفكار والمعتقدات والإتجاهات والقيم الإيجابية وكذلك توجيهه وتعليمه وتعديل سلوكه لكي يدرك ما هو مرغوب فيه وما هو غير مرغوب فيه من قيم وسلوك.

وبهذا فإن الطفل يستجيب ويمتنع من الأسرة توجيهها لقيم استقرت داخل الأسرة، وصارت مقبولة اجتماعياً وباتت تدور حول محاور مثل: الدين والخلق وتكوين الأسرة وتربية الأطفال وسائر العلاقات الاجتماعية ولكن لا يقتصر دور الأسرة على نقل عناصر الثقافة لأفرادها، بل إنها تقوم بعملية قيمة تقويمية، أى عملية اختيار من هذه العناصر وتقوم بتفسيرها للفرد بل وتضع أسس القبول أو الرفض لكل عنصر منها.

وتعد الأسرة من أكثر المؤسسات أهمية للطفل، حيث أن الطفل يعتمد عليها اعتماداً كلياً في تشكيل شخصيته، وتعد الشخصية المتزنة ذات أثراً فعالاً في حياة الأفراد ولا تتكامل إلا عندما تكون قد وجهت من كل جوانبها، وريبت من كافة أقطارها، وهذبت من كل أطرافها، فبالنسبة للجانب الإياني مثلاً في شخصية الطفل تبدأ الأسرة بتلقين الطفل كلمة التوحيد وحب الله وحب الرسول ﷺ. فلا بد من إعداد الطفل وتدريبه على عبادة الله عز وجل، فعبادة الله تعالى تفعل في نفس الطفل فعلاً عجبياً فهي تشده بالاتصال بالله عز وجل وتهدأ من ثورته النفسية.

أما بالنسبة للجانب الفكرى مثلاً في شخصية الطفل حيث يزود الطفل بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والثقافية العلمية والعصرية والتوعية الفكرية حتى ينضج الطفل فكرياً ويتكون علمياً وثقافياً، ويكون السبيل إلى ذلك عن طريق التلقين الواعى من قبل والديه ومربيه والقدرة الواعية التي تربط الطفل بمرشد

مخلص واع فاهم لدينه، والمطالعة لبعض القصص الإسلامية التي تتحدث عن سيرة الأبطال والصالحين والسيرة النبوية.

وكذلك بالنسبة للجانب الجسمي فقد أوصى الإسلام بالإهتمام بالبناء الجسمي للطفل ليكون شخصية قوية مؤثرة قادرة على تحمل المشاق ومقاومة الأمراض، وبهذا فعلى الأسرة أن تهتم بأطفالها جسدياً وتغذيتهم تغذية سليمة ومعالجتهم حين يمرضون ويمارسون الرياضة البدنية لكي يصبحوا أقوياء.

وبالنسبة للجانب الأخلاقي فتقوم الأسرة بتأديب أولادهم وتحسين أخلاقهم وتعويدهم الصدق والأمانة والكرم... وكثير من الفضائل الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الأفراد.

وبما أن الأسرة لها دوراً هاماً في تنمية شخصية الطفل وتنمية القيم الأخلاقية، فلا بد من التعرف على العوامل المؤثرة على العلاقات الأسرية، وتوضح فيما يلي:

أ - حجم الأسرة:

من المعروف أنه كلما زاد عدد أفراد الأسرة زادت درجة التعقيد للعلاقات الأسرية وعدم التقارب بينهم، وعندما يقل عدد أفراد الأسرة الواحدة يؤدي إلى الوثام والترابط والتماسك الأسري. وتشير البحوث إلى أنه بزيادة حجم الأسرة وزيادة فارق العمرين للوالدين وقلة الفاصل الزمني بين الأخوة ينخفض الذكاء بين الأطفال، ومع زيادة حجم الأسرة يرتفع مستوى الخوف لدى الطفل وكذا الغيرة، وعموماً فإن تراوح حجم الأسرة بين (٤ - ٥) أفراد يكون معه أفضل تكوين نفسي للطفل على اعتبار أن حجم الأسرة هو الأب والأم والأخوة والأخوات.

ب - الظروف الاقتصادية:

إنه كلما توافرت الظروف الاقتصادية المناسبة من مسكن وملبس وإمكانيات مادية مناسبة. قلل ذلك في أعم الأحوال من الخلافات الأسرية وزاد من الروابط

والعلاقات الأسرية، والعكس من ذلك أنه كلما كان المستوى الاقتصادي غير مناسب للأسرة عوق ذلك عن إشباع احتياجات الأفراد وتعارض إشباع الحاجات الأساسية بصفة خاصة مع الإمكانيات المادية، وهذا ما يوجد عدم استقرار نفسى داخل الأسرة الواحدة بل قد يؤدي إلى تنافس وانحرافات سلوكية داخل الأسرة وخارج البيئة الأسرية.

ج - المستوى الثقافى للأسرة:

كلما ارتفع المستوى الثقافى وزاد الوعي بين أفراد الأسرة الواحدة زادت العلاقات الأسرية تعقيداً، فحيث تتعد الأمية وتزداد المعرفة ويرتفع مستوى التعليم والثقافة بين أفراد الأسرة الواحدة وتتوافر الإمكانيات الثقافية من مواد إعلامية داخل الأسرة أو خارجها من (كتب - جرائد - مجلات - مكنتبات عامة - تليفزيون - نوادى) فإن توافر مثل هذه الإمكانيات الثقافية يعمل على إيجاد وسط ثقافى متميز وخاصة فى المدن والعواصم الكبرى، كل هذا من شأنه أن يؤثر على العلاقات الأسرية فى مسارها السوى واللا سوى بين أفراد الأسرة الواحدة.

د - التحضر والتمدن فى الأسرة:

من المعروف أن مجتمع المدينة تختلف العلاقات والروابط الأسرية به عن مجتمع القرية أو البادية، حيث أن مجتمع المدينة مجتمع مفتوح تتوافر فيه الإمكانيات المادية والثقافية والحضارية والاجتماعية مما يعقد العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة، وعادة ما يكون مجتمع القرية محدوداً مغلقاً تتواجد فيه العلاقات إلى حد ما ويحدث عادة تماسك أسرى بدرجة أكبر تتقارب فيه الإتجاهات والقيم والمعايير ويزداد تماسك الأفراد بالقيم الأخلاقية والروابط الأسرية، بمعنى أن التماسك الأسرى فى مجتمع المدينة عادة ما يكون أقل فى كفه وكيفه من التماسك الأسرى فى مجتمع القرية.

هـ - الوضع المهني والوظيفي في الأسرة:

كلما كانت البيئة الاجتماعية والثقافية في الأسرة مناسبة فقد أدى ذلك إلى تقارب وتماسك العلاقات بين أفراد الأسرة، وعادة عند استطلاع الرأى حول الوضع الوظيفي لرب الأسرة أو الأم نجد عدم رغبة البعض في ذكر المهنة باعتبارها خصوصيات الفرد أو قد تورطه في مشاكل أو خوفاً من الحسد ومازالت هذه المعتقدات للأسف سائدة في مجتمعنا الحالى حتى عند بعض المثقفين.

ومما سبق يمكن إجمال دور الأسرة في تنمية القيم الأخلاقية فيما يلي:

* أن يكون الوالدان قدوة لأبنائهم في التحلى بالقيم الدينية والأخلاقية سواء في أداء الفرائض أو السلوكيات اليومية أو تعاملاتهم مع الآخرين.

* الحرص على تنشئة الأطفال وتربيتهم تربية أخلاقية قائمة على الفضيلة والأخلاق.

* توجيه الأبناء إلى حفظ القرآن ومتابعتهم في ذلك نظراً لأهميته القصوى في التحلى بالقيم الأخلاقية بعد ذلك.

* انتقاء أصدقاء أطفالنا وإبعادهم عن رفاق السوء حتى لا يؤثرن على قيمهم.

* تقويم سلوكيات الأطفال الغير مرغوب فيها.

* تربية الطفل تربية أخلاقية سليمة تعمل على تكوين شخصية متزنة متكاملة، والاهتمام بجميع نواحي النمو (الفكرية، الاجتماعية، الجسمية).

فالأسرة هى الوسيط الأساسى فى تكوين شخصية الفرد ونشأة هويته، فيها يكتسب الطفل القيم والأفكار والاتجاهات.... إلخ.

وإذا كان دور الأسرة مهماً فى إكساب وتنمية القيم الأخلاقية للطفل فما دور المدرسة أو المعلمة فى ذلك؟

ثانياً: المدرسة :-

تعتبر المدرسة من أهم المؤسسات التربوية في المجتمع وهو مؤسسة مكتملة لدور الأسرة، حيث تعمل على إيجاد التوازن النفسى والاجتماعى لدى الفرد، ولأنها تؤثر في مفاهيم الفرد المتعلم وفي تكوين معتقداته كما تؤثر في سلوكه، فالمدرسة هي مؤسسة أوجدها المجتمع من أجل تربية وتعليم الأبناء على أسس منهجية سليمة بهدف إعداد الفرد إعداداً صالحاً وصقل شخصيته وتعديل سلوكه، هذه الأسس لا تستطيع الأسرة أن تقوم بها أو تعمل على التخطيط لها بمفردها، لأن المدرسة تقوم بالعبء الأكبر في عمليات التربية والتعليم والتثقيف. كما أن المدرسة تعمل على تزويد الفرد المتعلم مجموعة من المهارات وأساليب التفكير والقيم لكي يستطيع أن يتكيف مع نفسه ومع الآخرين.

فالمدرسة تلعب دوراً لا يمكن إغفاله في ترسيخ القيم الأخلاقية حيث تستخدم طرقاً مباشرة ومقصودة وذلك بتناول هذه القيم والتأكيد على ضرورة التمسك بها، ويمكن استخدام القصص ومناقشة ما جاء بها وأخذ العبر منها ومعرفة السلوك الحسن الذى جاء فيها والسلوك السيئ للإستفادة من السلوك الطيب وتجنب السلوك السيئ. وأنه لا بد من التعاون بين الأسرة والمدرسة في تحصيل أطفالنا بالقيم الأخلاقية ولا يمكن إغفال دور المعلم في غرس القيم والمبادئ لأبنائه لما له من أثر عظيم عليهم يمكنهم من إحداث التغيير في سلوكهم. فيعد أول تأثير يتلقاه الطفل في المدرسة هو تأثيره بالأشخاص المحيطة به من معلميه فتأثر الطفل بالمعلمة كبير ويعد المرجع في سلوكه هو المعلمة.

فتقوم المعلمة بتنمية الجانب الإيمانى والأخلاقى والجسمى والاجتماعى والفكرى.... إلخ لدى الأطفال، فقد تصحبهم المعلمة إلى مكتبة المدرسة لقراءة القصص الدينية والاجتماعية، كذلك تذكروا الأطفال بأن الله خالق كل شيء ونعمه علينا عديدة مع الشكر دائماً لله على نعمة العظيمة وأن الله يرانا في كل وقت لتنمية

الضمير الأخلاقي داخل الطفل وتجنب الأخطاء دائماً. وكذلك يجب أن يستوفى البناء الجسمي للطفل حقه من خلال المعلمة، وذلك بتوفير الحصص والبرامج الرياضية بالمدرسة حتى يكون قوى الجسم والمعلمة ترشد الطفل كيف يعتنى بصحته، وفي المدرسة تهدف التربية الأخلاقية إلى التركيز على غرس القيم والفضائل الأخلاقية في النفوس لأنها الدعامة الأولى في بناء شخصية الطفل ففيها يربى الطفل على الأخلاق الحميدة. فعلى المعلمة القدوة أن تغرس المفاهيم الطيبة في نفوس الأطفال مثل الصدق وعدم الكذب وأن يكافئ الطفل الذى قام بعمل طيب أمام زملائه ليقتدوا به، يعلم الأطفال الأدب مع الوالدين والاحترام والأخلاق الحميدة وضرورة إشعار الأطفال بانتباههم إلى المدرسة، وعدم تشويه منظر المدرسة وتحطيم أثاثها، والواقع أن المدرسة في غالب الأمر تعمل على بلورة تكوين الخلق الذى يبدأ بالفعل لدى الطفل أكثر مما تعمل على تشكيله في مسارات مرغوبة.

ويمكن إجمال دور المعلمة في تنمية القيم الأخلاقية فيما يلي:-

- الحرص على تنشئة وتربية الأطفال تربية أخلاقية قائمة على الفضائل والأخلاق.

- أن تكون المعلمة قدوة للأطفال في التحلى بالقيم الأخلاقية من خلال سلوكيات التعامل مع الأطفال.

- التأكيد على حفظ قصار السور من القرآن الكريم.

- تقويم سلوكيات الأطفال الخاطئة وغير المرغوب فيها مع التركيز على السلوكيات الصحيحة والإثابة عليها.

- تربية الأطفال على القيم الأخلاقية وتكوين شخصية متكاملة.

- انتقاء القصص الهادفة إلى تنمية القيم النبيلة (كالصدق - التعاون) وإلقائها على الأطفال.

وأخيراً، فإنه يجب على المعلمة أن تحث أطفالها على ضرورة التمسك بالقيم

الأخلاقية وتؤكد ذلك من خلال البرامج المختلفة والأنشطة المتنوعة وجميع الخبرات التي تقدم من خلالها. مع التأكيد على أهمية القصة لما لها من أثر في نفوس الأطفال وتهذيب أخلاقهم كما تغرس في نفوسهم الصفات الحميدة والفضائل ومكارم الأخلاق.

ثالثاً: جماعة الرفاق:-

إن جماعة الرفاق تعد أثر عظيم في سلوك أبنائنا، قد أكد لنا رسول الله ﷺ أهمية اختيار الصديق، فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" (رواه أبو داود والترمذى)

ومن منطلق هذه النصيحة النبوية فلا بد من أن نحسن اختيار الأصدقاء، وحسن اختيار المجالسة الطيبة مع من حسنت أخلاقه، والبعد عن مجالسة من ساءت أخلاقه، حيث قال رسول الله ﷺ "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو شويك أو تجد منه ريحاً خبيثاً" (رواه البخارى).

ولذلك يجب على الوالدين أن يوجهوا أبنائهم لأهمية حسن اختيار الصديق، وأن يكون الصديق حسن الخلق تجنباً لما قد يؤدي إليه سوء اختيار الصديق من انحرافات وانزلاقات في المخاطر.

رابعاً: - وسائل الإعلام:-

إن وسائل الإعلام تلعب دوراً كبيراً في تدعيم القيم الأخلاقية مثل الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون، فبالنسبة للصحف والمجلات يجب أن تتعرض لجميع الموضوعات التي تطرح قيماً وأخلاقيات إيجابية وأن تركز مجلات الأطفال على القصص الهادفة وقصص البطولات وذلك بأسلوب سهل يشد انتباه الأطفال ويحثهم على التحلى بالفضائل ويبعدهم عن الرذائل.

كما يجب أن تتضمن الإذاعة برامج متعددة تبين بعض القيم الإيجابية والأخلاقيات والسلوكيات المرغوب فيها، كذلك تقديم التمثيليات والقصص التي تؤكد على ترسيخ القيم الأخلاقية لدى الأبناء.

أما التلفزيون فيعتبر من أخطر الأجهزة الإعلامية تأثيراً في القيم والعادات السلوكية، فيجب توجيه أبنائنا إلى أخذ ما هو مفيد ونبذ ما لا يفيد من السلوكيات والإتجاهات التي تعرض ببرامج التلفزيون. ويجب أن تهتم برامج التلفزيون بمشكلات المجتمع ككل ومشكلات الشباب والأبناء بصفة خاصة، فهم جيل المستقبل، والعمل على حل هذه المشكلات من خلال البرامج الخاصة لهم، وأن يركز التلفزيون على الموضوعات التي تؤكد على القيم الأخلاقية، على أن يقوم بتقديم هذه البرامج علماء الدين وأهل العلم وأساتذة الجامعات وغيرهم من أهل الفكر حتى تصير هذه البرامج ذات أثر عظيم وطيب في اكتساب الأبناء القيم الأخلاقية والفضائل الحميدة.